ثالثاً: منهج التوفيق بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن

نستطيع أن نقول إننا أمام منهجين للتوفيق بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن وهما: منهج التعليل، ومنهج دفع التعارض.

أولاً: منهج التعليل

وهو القول بأن أحاديث النهي عن الكتابة كانت لعلة، ومن المعلوم أن الأحكام تدور مع العلل وجوداً وعدماً، فمتى وجدت العلة وجد الحكم، ومتى انعدمت العلة انعدم الحكم.

والذي يدقق النظر في أحاديث النهي يجدها أشارت إلى التعليل، كما في رواية أبي هريرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث فقال: "ما هذا الذي تكتبون؟" قلنا: أحاديث سمعناها منك، قال: "أكتابًا غير كتاب الله تريدون؟ ما أضل الأمم من قبلكم إلا أنهم اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله"... الحديث(١).

قال الخطابي: ".. وقد قيل: إنه إنما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط به ويشتبه على القارئ"(٢).

وقال ابن عبد البر: "من كره كتابة العلم إنما كرهها لوجهين: أحدهما ألا يتخذ مع القرآن كتابا يضاهى به، ولئلا يتكل الكاتب على ما كتبه فلا يحفظ، فيقلَّ الحفظ"(٣).

وقال ابن الصلاح: ".. ولعله أذن في الكتابة لمن خشي عليه النسيان، ونهى عن الكتابة من وثق بحفظه مخافة الإتكال على الكتاب"(٤).

وذكر الصنعاني: أن النهي عن الكتابة إنما كان في أول الأمر " بسبب أنه لم يكن قد اشتد إلف الناس بالقرآن ولم يذكر حفاظه والمتقنون له، فلما ألفه الناس وعرفوا أساليبه وكمال بلاغته... فلم يخش اختلاطه بعد ذلك "(٥).

ونستطيع أن نجمل العلل التي من أجلها نهى الرسول ﷺعن كتابة الأحاديث فيما يأتي:

---

١ – تقييد العلم ٣٣.

٢ – معالم السنن مطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري ٥/٢٤٦.

٣ – جامع بيان العلم١ / ٨٢.

٤ – مقدمة ابن الصلاح ٨٨.

٥ – توضيح الأفكار ٢ / ٢١٨.

١ – الخوف من مضاهاة الحديث للقرآن الكريم:

فالنهي عن كتابة السنة حتى لا تكون مثل القرآن، فالقرآن مكتوب متداول بين الصحابة متعبد بتلاوته وقراءته.

يؤيد ذلك التعليل: ما ذكر أنّهم كانوا يرون أن بني إسرائيل إنما ضلوا بكتب ورثوها، ولذلك قال الخطيب البغدادي: " فقد ثبت أن كراهة الكتاب من الصدر الأول إنما هي لئلا يُضاهى بكتاب الله تعالى غيرُه، أو يشتغل عن القرآن بسواه "(٦).

٢ – المحافظة على نص القرآن أن يختلط بالسنة.

إن من أسباب النهي عن كتابة الحديث النبوي: خوف اختلاط بعض أقوال النبي ﷺ بالقرآن سهواً من غير عمد(٧)، ويؤيد ذلك التعليل ما ذكره البغدادي بقوله: ".. ونهى عن كتب العلم في صدر الإسلام لقلة الفقهاء في ذلك الوقت، والمميزين الوحي وغيره، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين، ولا جالسوا العلماء العارفين، فلم يُؤْمَنْ أن يُلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن"(٨).

٣ – خوف انكباب الناس على كتابة غير القرآن:

فالغرض من منع كتابة الأحاديث هو الحفاظ على الاهتمام من جانب الذين هداهم الله إلى القرآن، فالقرآن لا يزال في مرحلة الوحي ولم يجمع بعد، فكان ينبغي أن يُعطى مزيداً من الاهتمام عن أحاديث الرسول ﷺ، فخوفاً من احتمال أن يصرف اهتمام المسلمين عن المصدر الأول للتشريع منع الرسول ﷺكتابة الأحاديث. يؤيد ذلك قول عمر بن الخطاب: " إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً

---

٦ – تقييد العلم ٥٧. وهناك أحاديث تدل للإباحة أيضًا إلا أن بها ضعفًا يسيرًا مثل:

حديث رافع بن خديج رضي الله عنه:

عن رافع بن خديج عن رافع رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها قال: " اكتبوا ولا حرج" تقييد العلم ٧٢، ورواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ٣٦٩، وذكره الهيثمي في المجمع ١٥٦/١، وقال: "رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبو مدرك، روى عن رفاعة بن رافع، وعنه بقية، ولم أر من ذكره".

حديث أبي أمامة رضي الله عنه:

عن الحسن بن جابر أنه سأل أبا أمامة عن كتابة العلم فقال:" لا بأس بذلك" تقييد العلم ٩٨، ورواه الدارمي في سننه ١٣٧/١–١٣٨، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم ٣١٧/١ وفي إسناده معاوية بن صالح، قال الحافظ في التقريب ٥٣٨: صدوق له أوهام. وغيرها.

٧ – السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: (ص ٧٦ – ٧٧)

٨ – تقييد العلم ٥٧.

فأكبُّوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً"(٩).

إذًا تفسير رواة الحديث (النهي عن الكتابة) بخشية أن يجعل الحديث موضع القرآن، وراوي الحديث أعلم بما روى كما يقرر العلماء(١٠).

٤ – الحرج في الكتابة:

اهتم الصحابة بكتابة القرآن الكريم، وكانت الوسائل الكتابية بدائية وغير ميسرة منها: رقاق الحجارة والعظام وسعف النخل وجلود الحيوانات، وكانت الأحاديث النبوية أكثر من أن يحصوها؛ وذلك أن النبي ﷺ آتاه الله العلم والحكمة والنبوة فكان له في كل حادثة قول، وفي كثير من الوحي تفسير وبيان، استمر ذلك النور النبوي ثلاثاً وعشرين سنة. فأنى لهم الوسائل الكتابية، ومن أين لهم الوقت الكافي لتدوين حديثه كله تدويناً كاملا.

٥ – المحافظة على ملكة الحفظ عند المسلمين:

قال ابن حجر: "النهي في حَقِّ مَنْ خشي الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أمن عليه ذلك"(١١).

فالنهي عن كتابة الأحاديث، كان للحفاظ على ملكة الحفظ عند المسلمين؛ إذ الاتكال على الكتابة يضعفها؛ يقول الخطيب: "ونهي عن الاتكال على الكتاب؛ لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب الحفظ حتى يكاد يبطل، وإذا عدم الكتاب قوي لذلك الحفظ الذي يصحب الإنسان في كل مكان"(١٢)، بل كان بعض الصحابة يكتبون ثم يمحون ما كتبوا(١٣)، ولولم يكن النهي عن الكتابة مستقراً عندهم لما كتبوا ابتداء.

ثانياً: منهج دفع التعارض بين أحاديث النهي عن الكتابة وأحاديث الإذن بها:

١ - دفع التعارض بالقول بالنسخ:

اختلف العلماء عامة والأصوليون خاصة في مسألة دفع التعارض بين الأدلة الشرعية في النهي عن الكتابة

---

٩ – تقييد العلم ٤٩.

١٠ – منهج النقد في علوم الحديث ٤٣.

١١ – فتح الباري ٢٠٨/١.

١٢ – تقييد العلم ٥٨، وانظر المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ٣٧٧.

١٣ – الإلماع ١٤٩.

وإباحتها، فذهب الجمهور إلى أن دفع التعارض هو النسخ ابتداء، فيكون المتأخر ناسخاً للمتقدم.

وذهب الحنفية إلى أن منهج دفع التعارض بين الدليلين المتعارضين يكون بالجمع أولا ثم بالنسخ ثانيا، ثم بالترجيح ثالثًا(١٤).

وكما هو بين فالخلاف بين الجمهور والحنفية في تقديم الجمع على النسخ.

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس ثمة تعارض حقيقي في الواقع ونفس الأمر بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن، وإنما التعارض في الذهن فقط بحسب ما يبدو لذهن المجتهد لسبب من الأسباب التي تجعل الأدلة متعارضة في نظره.

٢ - الجمع بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن بالكتابة

الجمع في اللغة: هو الضم والاقتران.

وفي الاصطلاح: هو إزالة الاختلاف بالتأليف والتوفيق والتأويل فلا يؤدي هذا التأويل إلى التعسف الشديد(١٥).

٣ - الترجيح بين المتعارضين:

بعد أن تعرضنا لآراء العلماء في التوفيق بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن، وقلنا: إن هناك منهجين للعلماء في التوفيق بينهما، أولهما: منهج تعليل الأحاديث الواردة في النهي والإذن، والثاني: منهج دفع التعارض: إما بالنسخ أو الجمع أو الترجيح، نستطيع أن نقول: إن الرأي الراجح هو منهج التعليل في التوفيق بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن وذلك لما يأتي:

١ – أن مسألة الكتابة لا ينهى عنها لذاتها؛ لأنها ليست من القضايا التعبدية التي لا مجال للنظر فيها، ولأنها لو كانت محظورة لذاتها لما أمكن صدور الإذن بها لأحد من الناس كائنا من كان.

وعلى هذا فإنه لابد من علة يدور عليها الإذن والمنع في آن واحد.

يقول الدكتور نور الدين عتر: " والعلة التي تصلح لذلك من وجهة نظرنا هي ضعف الانكباب على درس غير القرآن وترك القرآن اعتمادا على ذلك"(١٦).

---

١٤ – الإحكام: الآمدي ١٨٢/٣، شرح مختصر ابن الحاجب ١٦٦/٢.

١٥ –أصول الفقه: عبدالوهاب خلاف ٣٥، ولسان العرب ٤٩٨/١، مادة جمع.

١٦ – منهج النقد، ٤٣.

فنهى الرسول ﷺ عن كتابة الحديث الشريف مع القرآن في صحيفة واحدة خوف الالتباس، وربما يكون ذلك أول الإسلام حتى لا ينشغل المسلمون بالحديث عن القرآن الكريم، وأراد أن يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم وعلى الألواح والصحف والعظام توكيدا لحفظه، وترك الحديث للممارسة العملية والتطبيق فكانوا يرون الرسول ﷺ فيقلدونه ويسمعون منه فيتبعونه، فكأن الحديث امتزج بأرواحهم لشدة حبهم لرسول الله ﷺ وطاعتهم له واقتدائهم بسنته.

٢ – إن القول بتعليل النهي والإذن لا يمنع تخصيص النهي بالسماح لبعض من لا تتحقق فيهم هذه العلة، فالنهي لم يكن عاما والإباحة لم تكن عامة، فحيثما تحققت علة النهي منعت الكتابة وحيثما زالت أبيحت الكتابة.

٣ – القول بالتعليل لا يمنع القول بنسخ الإباحة لأحاديث النهي(١٧).

---

١٧ – الحديث النبوي في عهد النبي بين النهي والإذن د. حسناء بكري.

المبحث الثاني: أسباب انتشار السنة وعوامل حفظها

مجالس النبي ﷺ العلمية:

كيف كان الصحابة يتلقون الحديث عن النبي ﷺ ؟

لم يكن في أصحاب رسول الله ﷺ من يحسن الكتابة إلا نفر قليل فقد كانت الأمية غالبة على المجتمع كله آنذاك، فكان اعتمادهم في تلقي الحديث عنه ﷺ على استعدادهم في الحفظ على ما سبق آنفا كما أنهم نهوا عن كتابة الحديث في بدء الأمر خوف اختلاطه بالقرآن الكريم، وكان الصحابة يتلقون الحديث عن النبي ﷺ إما بطريق المشافهة وإما بطريق المشاهدة لأفعاله وتقريراته وإما بطريق السماع ممن سمع منه ﷺ أو شاهد أفعاله وتقريراته لأنهم لم يكونوا جميعا يحضرون مجالسه ﷺ بل كان منهم من يتخلف لبعض حاجاته. هذا ولما كان عدد الحاضرين للسماع من النبي ﷺ يختلف قلة وكثرة اختلف لذلك المروي عنه.

كان الصحابة يحفظون الأحاديث عن ظهر قلب ويبلغونها للناس بطريق المشافهة إلا ما كان من بعض أفراد قلائل كعبدالله بن عمرو بن العاص فقد أذن له النبي ﷺ في كتابة الحديث عنه.

فعن عبدالله بن عمرو هذا أنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق »[١٨].

هذا ولاختلاف الصحابة في معرفة الكتابة وعدم معرفتها وكثرة حضورهم مجالسه ﷺ وقلة حضورهم اختلفوا في تحمل الحديث وأدائه قلة وكثرة فكان منهم المقل ومنهم المكثر.

هذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: «ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب»(١٩).

وكما اختلف الصحابة في صفة الأخذ عن رسول الله ﷺ وفي كثرة المروي وقلته لأسباب أشرنا إليها كذلك اختلفوا في فقه الحديث حسب اختلافهم في الفهم والاستعداد الفطري فلم يكونوا سواء في معرفة

---

١٨ – أخرجه أبو داود ٦٠/٤، كتاب العلم، باب في كتابة العلم، ح ٣٦٤٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٦٩٥/٢، ح ٣٠٩٩.

١٩ – أخرجه البخاري في صحيحه مع ٢٠٦/١، كتاب العلم، باب كتابة العلم ح ١١٣.

الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفسر ونحو ذلك إلا أنهم كانوا كثيرا ما يرجعون إلى الرسول ﷺ عند ما يقع الاختلاف بينهم فيُصدر حكمه الفصل وقَضاءَه العدل.

جهود الصحابة ﷺ في حفظ السنة في عهد النبي ﷺ:

تكلمت من قبل عن كيفية تلقي الصحابة رضي الله عنهم لسنة النبي ﷺ وامتثالهم لما جاء فيها، فقد علم أصحاب رسول الله ﷺ للسنة مكانتها من الدين، كما علموا وصية الله تعالى باتباعها وتحذيره الشديد من مخالفتها، وأن من فَرَّطَ في أمرها أو تهاون بشأنها فهو محروم، ومن حفظها وعمل بها فهو سعيد مشكور.

ولم يخف عليهم أن القرآن العزيز رفع من شأن العلم والعلماء وحط من شأن الجهل والجهلاء فقال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر:٩] وقال:﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة:١١] وحث على التفقه في الدين وتبليغه إلى الناس فقال: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ [التوبة:١٢٢].

كما لم يخف عليهم الوعيد الشديد على كتمان العلم في قوله تعالى:﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ [البقرة:١٥٩]. وقد قال ﷺ محذرًا من كتمانه «من سُئل عن علمٍ فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار »[٢٠]

وكما جاءت الآيات القرآنية حاثة لهم على تعلم الدين وأحكامه ودرسه ونشره كذلك جاءت الأحاديث النبوية محببة إليهم حمل العلم والتفقه في الدين محذرةً لهم من كتمانه حاضةً على تبليغه إلى الناس فقال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» [٢١] وقال ﷺ «الدنيا ملعونة. ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً»[٢٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فَبَلَّغهُ كما سمعهُ فَرُبَّ مُبلَّغٍ

---

٢٠ – أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٢/ ٢٩٦ و٤٩٥، مسند أبي هريرة، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ١٤/٥(٧٥٦١): إسناده صحيح.

٢١ – أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح ١/١٦٤، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ح ٧١، وأخرجه مسلم ٢/٧١٨، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة ح ٩٨ (١٠٣٧).

٢٢ – أخرجه ابن ماجه ٢/١٣٧٧، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، ح ٤١١٢، وحسنه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه ٢/٣٩٥، ح ٣٣٢٠.

أوعى من سامع»[٢٣]« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة »[٢٤]والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة.

وكأن الله سبحانه وتعالى قد هيأ هذه الأمة العربية على هذا الاستعداد الهائل إرهاصاً لنبوة محمد ﷺ فكانت هذه الصدور الحافظة مهدا لآي الذكر الحكيم، وكانت هذه القلوب الواعية أوعية لحديث النبي الكريم فاندفع هؤلاء الصحابة الأجلاء إلى تلقي حديث رسول الله بِنَهَم عظيم وشوق كبير، وأظهر الله بهم دينه على الدين كله.

نعم تظاهر هذان العاملان ... العامل الروحي والعامل الفطري فأتى القوم بما لم تأت به أمة من يوم أن بعث الله تعالى رسله إلى الخلق فحفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم واتخذوا شريعته نبراساً في أمر معاشهم ومعادهم وبلغوها إلى الناس على وجهها غضةً طريةً.

جهود أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في حمل السنة وتبليغها:

لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن أهمية كبيرة وفضل عظيم في تبليغ الدين ونشر السنة النبوية وخاصة بين النساء، فقد كانت بيوتهن مدارس لطلاب العلم يجد السائل عندهن الجواب والمستفتي فتواه، وعايشن تفاصيل حياته ﷺ على تفاوت في كم رؤيته ﷺ ومجالسته والإفادة منه، كما تعددت المدارس بتعددهن في الحفظ والرواية.

ولمكانة أمهات المؤمنين بين الصحابة كان الناس يتحفظون أن يسألهم أحد فيستفتيهم في الأحوال الخاصة مع وجودهن. وقد اختلفت زوجات الرسول ﷺ في الرواية ونشرها وسأذكرهن بحسب ذلك.

– أمهات المؤمنين رضي الله عنهن يحملن سنة النبي ﷺ ويبلغنها:

كان لزوجاته ﷺ فضل كبير في تبليغ أحكام الدين ونشر السنن بين نساء المؤمنين ولاسيما ما كان من عائشة رضي الله عنها التي كانت على مقدار عظيم من الذكاء والفهم، فقد كانت تسأله ﷺ وتناقشه في بعض المسائل التي قد تخفى عليها وتستوضح عن كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فعن ابن أبي مُلَيْكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال «من حوسب عذب، قالت عائشة أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حسابًا يسيرا﴾

---

٢٣ – أخرجه الترمذي ٥/ ٣٤، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ح ٢٦٥٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٢٤ – أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٧٤، كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ح ٣٨ (٢٦٩٩).

[الانشقاق:٨]، قالت فقال: إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك»(٢٥).

ولعل من الحكم التي لأجلها أباح الله للرسول ﷺ الزواج بأكثر من أربع قيام هؤلاء الزوجات بالتبليغ عنه ﷺ وبخاصة في الأمور التي لا توجد منه ﷺ بين أصحابه أو يستحيي من فعلها بينهم ولا يمكن الاطلاع عليها لأحد غير أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لذلك نجد أصحاب رسول الله ﷺ من بعده إذا اختلفوا في شيء من الأحكام كالغسل والحيض والجماع ونحوها يلجؤون إلى أمهات المؤمنين ويرجعون إلى أقوالهن عن رسول الله ﷺ وبذلك يزول ما بينهم من خلاف.

هذا ولا ريب في أن نساءه ﷺ كن على جانب عظيم من العلم فقد أمرهن الله تعالى بالاستقرار في بيوتهن ومُدَارسة القرآن والسنة في قوله:﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ [الأحزاب:٣٣] إلى أن قال:﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ [الأحزاب:٣٤]

لذا كان لأمهات المؤمنين أثر فعال في نشر السنة، ولولاهن لضاعت أحاديث وأحكام ما كنا لنطلع عليها من غيرهن ولاسيما الأفعال التي تقع بين النبي ﷺ وأزواجه مما لا يمكن لأحد الاطلاع عليها والوقوف على أحكامها.

وسوف أتحدث بشيء قليل من التفصيل عن دور بعضهن في ذلك.

١- أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما:

ومن أهم فضائلها رضي الله عنها، مناقب جعلتها تحتل المكانة الأولى في رواية الحديث بين النساء ونشرها:

- فهي نابغة في الذكاء والفصاحة، لكونها أبرع الناس في القرآن والحديث والفقه والشعر وأخبار العرب وأنسابها.

- جاء تميزها عن بعض الصحابة الرواة بأنها تحملت تلك الأحاديث مشافهة عن النبي ﷺ لذلك انفردت بأحاديث لم يروها غيرها ولولاها لضاع كثير منها مما يتعلق بتصرفات النبي ﷺ في بيته ومع أهله.

- كانت تأتيها أكابر الصحابة يسألونها عن دقائق العلم ومشكله فتجيبهم بروح التروي والتحقيق مما لا يتسنى إلا لمن بلغ في العلم مقامًا عليا، كما كانت مرجعًا عند الاختلاف، وحتى الخلفاء الراشدون كانوا يشاورونها في المسائل ويرجعون إلى رأيها. وقد شهد لها أبو موسى الأشعري فقال:" ما أشكل علينا - أصحاب محمد- فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها فيه علم".

---

٢٥ - أخرجه البخاري ١/١٩٦، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، ح ١٠٣ وأخرجه مسلم ٤/٢٢٠٤، كتاب الجند، باب إثبات الحساب، ح ٧٩ (٢٨٧٦).

– تصحح أخطاء ما تسمع من الأحاديث، وتستدرك ذلك، وقد ألف الزركشي كتابًا عن الأمور التي استدركتها على أعلام الصحابة سماه الإجابة في استدراكات عائشة على الصحابة، وكذلك السيوطي ألف: "عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة"، وقد جاء فيه عشرات المواضع من استدراكاتها رضي الله عنها، مثال ذلك:

ما استدركته على عبد الله بن عمرو بن العاص حين بلغها أنه يأمر النساء أن ينقضن رؤوسهن ففالت:" يا عجبًا لابن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن؟! لقد كنت اغتسل أنا ورسول الله من إناء واحد وما أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات".

وأم المؤمنين روت الألوف من الأحاديث، فلها: ٢٢١٠حديثًا، ولهذا فهي أشهر النساء في هذا الميدان، وقد عدت من ضمن سبعة من المكثرين في الرواية وفي الدرجة الرابعة، وقيل فيهم:

أبو هريرة سعد جابر أنس ...صديقة وابن عباس كذا ابن عمر

أما تلاميذها: فقد روى عنها خلق كثير من طبقات مختلفة، وكان من حكمة الله أن تزوجها النبي ﷺ وهي ابنة تسع وتوفي عنها وهي ابنة ثماني عشرة، وكانت من آخر أمهات المؤمنين وفاة فاستفاد منها كبار الصحابة وصغارهم وكبار التابعين وصغارهم فمن الصحابة: أبو بكر وعمر وأبو هريرة، ومن آل بيتها عروة بن الزبير ابن أختها ومن مواليها أبو عمرو ذكوان.

ومن التابعين: مسروق وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد، وغيرهم كثير.

أما محتوى مروياتها: فقد اتسم بالتنوع وتصدرت الأحكام المرتبة الأولى، فهي أساسًا كانت تنقل لنا الفعل بغية الاقتداء وتميزت بالدقة في التفاصيل عن حياة النبي.

٢– أم المؤمنين أم سلمة: هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية رضي الله عنها: ولها: ٣٧٨ حديثًا.

وتعد ثاني راوية بعد أم المؤمنين عائشة

احتاج الناس إلى علم أم سلمة فقد تأخرت وفاتها رضي الله عنها إلى سنة ٦٢ هـ فبعد وفاة عائشة ٥٨ هـ، قصدها الصحابة رضي الله عنهم فتصدرت الرواية والفتيا، وجمعت هذه المرويات بين الأحكام والتفسير والآداب والأدعية والفتن، وإن كان أكثر مروياتها في الأحكام بأبوابها المختلفة، وتغلب عليها الصفة العملية وتدل كثرة رواياتها على حفظها واهتمامها بما كان يصدر عن الرسول، نقل عنها كثير من الرجال والنساء من الصحابة والتابعين ومن مختلف الأمصار ومنهم ابنتها زينب.

٣– أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها ت ٥١ هـ

وهي من أصحاب العشرات، روت ستة وسبعين حديثًا، وقد توزعت على رواة أغلبهم من محارمها وفيهم ابن عباس، كما طغت على مروياتها الصبغة العملية، وترجع كثرة مروياتها مقارنة بغيرها – رغم كونها آخر من تزوجها النبي من نسائه – إلى تأخر وفاتها، من جهة وإلى كون أحد المكثرين من محارمها وهو عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فهذا يسهل عليه الدخول عليها وسؤالها في القضايا المختلفة.

٤– أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها ت ٤٤ هـ

من أصحاب العشرات، روت خمسة وستين حديثًا، روى عنها عدد من الصحابة منهم أخوها معاوية وابنا أختها عبد الله وعروة بن الزبير وزينب بنت أبي سلمة، وحديثها مشهور في تحريم الربيبة، وروت في السنن الراتبة وفي إحداد الزوجة وأبواب الطهارة، وعمومها وصف لأفعال النبي وفي السنن الرواتب.

٥– أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها ت ٤١ هـ،

وهي من أصحاب العشرات، فلها ستون حديثًا، جاءت في الطهارة والصيام والمناسك والزينة والآداب والطب وتعبير الرؤيا والفتن، وهي كبقية أمهات المؤمنين تغلب عليها رواية السنة الفعلية، إلا أنها اختصت برواية بأحاديث لم تروها غيرها كالرقية من النملة وقصة ابن صائد وخروج الدجال من غضبة يغضبها والدواب التي لا جناح في قتلهن.

٦– أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ت ٢٠ هـ،

مجموع مروياتها أحد عشر حديثًا، وقد عاشت مع النبي صلى الله عليه وسلم خمس سنوات معه وعشرًا بعده، وهي ابنة عمة رسول الله ﷺ.

أشهر من روى عنها ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش، وأم المؤمنين حبيبة، وزينب بنت أم سلمة، ورغم قلة مروياتها إلا أنها صاحبة رواية خروج يأجوج ومأجوج، وتقدم وفاتها قلل مروياتها، وقصة زواجها بالنبي معروفة حيث كانت أمرًا قرآنيًا لإبطال التبني، وقد كان لها ذكر طيب.

٧– أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ت ٣٦ هـ، روت ١٠أحاديث، أما محتوى مروياتها فمنها كان في الاعتكاف، وحديث الجيش الذي يخسف به، وأحاديثها القليلة بالنسبة لغيرها مهمة في سنن لم يروها أحد غيرها.

٨- أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ت ٥٠ هـ وقيل ٥٦هـ روي عنها أربعة أحاديث.

حدث عنها: ابن عباس وكريب مولى ابن عباس، ومجاهد وآخرون، روت في الصوم بعدم تخصيص يوم وفي العتق. وعدم اختصاص الجمعة بالصوم، وفي ثواب التسبيح، والزكاة وإباحة الهدية للنبي ﷺ.

٩- أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها ت ٥٤ هـ

وقيل زمن عمر رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ. لها ثلاثة أحاديث فقط، حدث عنها ابن عباس ويحيى بن عبد الله الأنصاري وغيرهم.

ويلاحظ على روايات أمهات المؤمنين ما يأتي:

- أن لها درجة متميزة لكونها مروية عن النبي ﷺ مباشرة.

- نقلن -رضي الله عنهن- سيرة النبي ﷺ ونشرنها إلى الأمة، ولولاهن لفاتنا الكثير من سننه ﷺ القيمة، فمن ذلك نقلهن سيرة النبي ﷺ وما فيها من رواية أفعاله المعيشية وخاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

- تخريجهن جيلا من التابعيات الراويات علاوة على الرواة، ولكونهن دروسًا عملية كما في مشروعية الإمامة للنساء التي قام بها أمهات المؤمنين مع الصحابيات والتابعيات. - مجالس علم للصحابيات رضي الله عنهن:

لم تكن مجالسه ﷺ قاصرة على الرجال بل كان كثير من النساء يحضرن المسجد أيضا ويستمعن إلى حديثه الشريف وفي الاجتماعات العامة كالاجتماع بصلاة العيد كن يخرجن جميعا إلى المصلى لاستماع الموعظة النبوية وكان النبي ﷺ بعد أن يلقي خطبة العيد ثم ينتقل إلى صفوف النساء يعلمهن، إلا أن المجالس النبوية بوجه عام كانت الغلبة فيها للرجال دون النساء؛ لذلك جاء وفد النساء إلى رسول الله ﷺ وطلبن إليه أن يجعل لهن يوماً يعلمهن فيه فأجابهن ﷺ إلى ذلك، على أن هذه الدروس كلها من عامة وخاصة لم تكن قائمة بحوائج النساء الدينية فكثيرا ما كانت تتجدد لهن شؤون ولاسيما وهن حديثات عهد بالإسلام فكانت المرأة تقصد رسول الله ﷺ فيما يعرض لها من أمر دينها ولا تستحيي أن تسأله لعلمها أنه لا حياء في التعلم وربما قدمت بين يدي سؤالها قولها «يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق» ثم تذكر حاجتها فتقول مثلا (هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت) وكثيرا ما يكون ذلك في نساء الأنصار حتى امتدحتهن عائشة زوج النبي ﷺ بقولها «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»(٢٦)، أما من كان يغلب عليها الحياء منهن فكان لها من أمهات المؤمنين سبيل لدى رسول الله ﷺ يستوضح لها عن جواب سؤالها.

---

٢٦ - أخرجه البخاري ١/ ٢٢٨، كتاب العلم، باب الحياء في العلم ح ١٣٠.

- جهود الصحابيات رضي الله عنهن في حمل السنة وتبليغها:

ذكر الحاكم النيسابوري أن الرواة من الصحابة أربعة ٤آلاف، وتعقبه الذهبي بأنهم نحو من ١٥٠٠ لا يبلغون ألفين أبدًا، وذكر الدكتور أكرم ضياء العمري أن" قائمة الصحابة الرواة التي نظمها ابن الجوزي بلغت ١٨٥٨صحابي وصحابية ١٦٤٢ صحابي و٢١٦ صحابية، وفيهم من لا تصح روايته، وبعد التدقيق في عدد الرواة في كتب الحديث وجد أن رأي الذهبي أقرب إلى الصواب.

- البعوث والوفود وأثرها في انتشار الحديث النبوي

١- بعوثه ﷺ وأثرها في نشر الحديث:

ما إن وقع صلح الحديبية بين النبي ﷺ وأهل مكة حتى أمن الناس بعضهم بعضا، وجالس بعضهم بعضًا وتحدثوا في شأن هذا الدين الجديد، وفي ظل هذه الهدنة المباركة دخل كثير من العرب في الإسلام وبعث النبي ﷺ بعوثه إلى القبائل المسلمة لتعليمهم السنن والأحكام، فبعث منهم إلى اليمن وإلى البحرين وإلى حضرموت وإلى عمان وغير ذلك من بلاد العرب.

كانت هذه البعوث رسل رحمة وهداية للناس بما حملوه إليهم من القرآن والسنة اللذين هما حياة النفوس والأرواح كما كانت هذه البعوث عاملاً مهماً في نشر سنة النبي ﷺ بين المسلمين في أنحاء الجزيرة، وقد كان النبي ﷺ يتخير لهذه المهمة من كان على جانب عظيم في العلم بالقرآن والسنن وكان يزودهم بإرشاداته الشريفة الحكيمة ويعلمهم كيف يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، انظر إلى قوله لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب فقل لهم إن الله فرض عليكم في اليوم والليلة خمس صلوات فإن هم أطاعوك فقل: إن الله فرض عليكم في السنة صوم شهر رمضان، فإن هم أطاعوك فقل: إن الله فرض عليكم حج البيت من استطاع إليه سبيلا، فإن أطاعوك فقل: إن الله فرض عليكم في أموالكم صدقة تؤخذ من أغنيائكم فترد في فقرائكم» (٢٧) إلخ، وبطبيعة الحال كان المبعوث يبين أحكام كل ذلك بما سمعه من حديث النبي ﷺ، وبسبب هذا الهدي النبوي آتت هذه البعوث ثمرتها الطيبة في نشر الحديث الشريف بين ربوع المسلمين.

٢- وفود القبائل إليه ﷺ وأثر ذلك في نشر الحديث:

لما تم لرسول الله ﷺ هذه الانتصارات الباهرة والفتوح المتكاثرة وفرغ من غزوة تبوك جاءته الوفود من أطراف

---

٢٧ - أخرجه مسلم ١/٥٠ كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ح ٢٩ (١٩).

الجزيرة العربية تضرب إليه أكباد الإبل يحفزها الشوق إلى لقاء هذا النبي الأمين ليأخذوا الدين من منبعه الأول، كما جاءته الكتب والرسل من الملوك تخبره بإسلامهم ومفارقتهم للشرك وأهله وكلما جاء وفد أكرمهم ﷺ وأرشدهم وعرفهم أمر دينهم، وبشرهم إنْ هم أطاعوه وحذرهم إن هم عصوه، وأفهمهم بما لهم وما عليهم، وكان قدوم الوفود سنة تسع من الهجرة، حتى سميت هذه السنة بسنة الوفود، ولم تكن هذه الوفود تأتي لنيل عطاء وإن كان النبي ﷺ يكرمهم ويعطيهم من مال الله الذي آتاه، بل يأتون إليه فيسألون عن أحكام الإسلام، أصوله وفروعه وكان النبي ﷺ يتحدث إليهم في كل ذلك ويجيبهم عن أسئلتهم ويخطب فيهم ويرشدهم ويعلمهم ويوصيهم بتقوى الله والسمع والطاعة.

وإن من يقرأ السيرة النبوية يجد أن وفودًا كثيرة جدًا أقبلت عليه ﷺ حتى كأنه لم تبق قبيلة من قبائل العرب إلا قدم منها وفد على رسول الله ﷺ ولقد عرف الصحابة ﷺ تلك الوفود وفدًا وفدًا وحفظوا ما حدثهم به النبي ﷺ من حديث وما خطبهم من خطب وما بثه فيهم من مواعظ ونصائح وأحكام وسنن، حتى إنك لتجد كتب الحديث والسير والمغازي مملوءة بذكر هذه الوفود وما كان لها من أثر عظيم في نشر الدين والسنن سواء ما كان من هذه الوفود في سنة تسع وما كان قبلها. وهذا ذكر لما جاء عن بعض الوفود التي أقبلت عليه ﷺ:

أ – وفد بني سعد بن بكر– وكان وافدهم إلى النبي ﷺ هو ضمام بن ثعلبة وفد على رسول الله سنة تسع من الهجرة ولما قدم المدينة وجد النبي ﷺ جالساً بين أصحابه ولا يعرفه، فقال: أيكم ابن عبدالمطلب؟ فأشاروا إلى النبي ﷺ فدنا منه وقال: «إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، قال: سل عما بدا لك، فقال: يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: صدق، فقال أنشدك برب من قبلك وبرب من بعدك، آالله أرسلك؟ قال: اللهم نعم، أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟، قال اللهم نعم، قال: وأنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟، قال: اللهم نعم، قال: وأنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ اللهم نعم، فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة »(٢٨) ثم رجع ضمام إلى قومه فأسلموا جميعاً.

ب– وفد عبد القيس – لما قدموا على النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من مضر فمرنا بأمر فصل نُخبر به من وراءنا وندخل به الجنة وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أنَّ لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان

---

٢٨ – أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح ١/ ١٤٨، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، ح ٦٣.

وأن تعطوا من المغنم الخمس، ونهاهم عن أربع عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت، وقال احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم»(٢٩).

من هذا ترى أن الوفود كانت تقدم على رسول الله ﷺ لتنهل من معين العلم ولتتفقه في دين الله وتقف على أحكام الإسلام، ثم يرجعوا إلى أوطانهم يعلمون من وراءهم من قبائلهم وعشائرهم، فهذه الوفود إلى جانب البعوث التي كان يرسلها النبي ﷺ إلى القبائل والملوك كان لها أكبر الأثر في نشر السنة النبوية في أنحاء الجزيرة العربية.

٣ - حجة الوداع وأثرها في نشر السنة:

لما استتب لرسول الله ﷺ الأمر في الجزيرة قصد حج بيت الله الحرام وقد حج معه من المسلمين أكثر من مئة ألف فألقى فيهم النبي ﷺ خطبة عظيمة جمع فيها أحكاماً غزيرة وسناً كثيرة ووضع من آثار الجاهلية ما أبطله الإسلام، ولكثرة الناس في ذلك اليوم اتخذ ربيعة بن أمية بن خلف مُبلغاً عنه، وافتتح هذه الخطبة بعد حمد الله بقوله «أيها الناس اسمعوا قولي فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا»(٣٠) وهي خطبة طويلة بين للناس فيها مناسك الحج وكأنه عليه السلام كان يشعر بدنو أجله فلم يترك شيئًا لم يكن بينه للناس إلا بينه وأظهره، فكانت هذه الخطبة الحافلة في هذا الجمع الحاشد من أكبر العوامل في ذيوع السنن الكثيرة بين قبائل العرب وعشائرهم وهي كمنهاج ختامي للدعوة الإسلامية عامة ولحديث رسول الله ﷺ خاصة وقد نزل في هذا الوقت قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت

---

٢٩ – أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح ١٨٣/١، كتاب العلم، باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس....إلخ ح ٨٧.

٣٠ – لم أجده بلفظه فيما بين يدي من الكتب، ولكن خطبة حجة الوداع المشهورة من حديث جابر أخرجها مسلم ٨٨٦/٢، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ح ١٤٧(١٢١٨).

المبحث الثالث: ما كتب في عهد الصحابة ﷺ وأوائل المدونين

اتسعت دائرة ما كتب في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، فنجد كثيراً من الصحف والنسخ، ونجد كثيراً من الصحابة لديهم شيء مكتوب من السنة.

وإن كنا لا ندري أهو مكتوب في عهد رسول الله ﷺ، أم بعد وفاته ﷺ، وهذا ندرجه فيما كتب في هذا العهد.

وقد أوصل بعض الباحثين عدد الصحابة الذين كان عندهم مكتوب من السنة إلى أكثر من خمسين صحابياً وصحابية(٣١).

وسنقتصر على ذكر الصحف البارزة في هذا العهد الميمون.

الصحف التي دونها الصحابة ﷺ :

١- صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة ﷺ:

وهذه هي أبرز ما كتب في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، ذلك لأنها نقلت إلينا كاملة في مخطوطات مستقلة بها، ونقلها الإمام أحمد في مسنده في مكان واحد منه(٣٢).

٢- صحيفة الأعرج عن أبي هريرة ﷺ:

وهي أخت صحيفة همام بن منبه عن هذا الصحابي الجليل، وتدل الدلائل على أنهما كتباهما معاً. وهما تبدآن بحديث واحد، وهو حديث: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة".

وفهم ذلك من تصرُّف البخاري في رواية هذه الصحيفة وتلك؛ إذ هو يذكر إسناد كل منهما، ثم يذكر طرف هذا الحديث، ثم يثني برواية الحديث الذي يريد روايته من الصحيفة والملائم للباب الذي يذكره فيه.

٣-صحيفة سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ:

كان سعيد المقبري يحدث عن أبي هريرة، وعن أبيه عن أبي هريرة، وعن رجل عن أبي هريرة فاختلطت، عليه فجعلها كلها عن أبي هريرة.

---

٣١ – دراسات في الحديث النبوي: د. محمد مصطفي الأعظمي ص: ٩٢-١٤٢.

٣٢ – راجع: مقدمة تحقيق صحيفة همام بن منبه للدكتور رفعت فوزي مكتبة الخانجي بالقاهرة.

قال ابن حبان في هذا: ليس هذا بوَهَن يُوَهَّن الإنسانُ به؛ لأن الصحيفة كلها في نفسها صحيحة(٣٣).

٤-صحيفة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:

كان جابر بن عبدالله ﷺ يكتب؛ فقد روى ابن أبي شيبة عن الربيع ابن سعد أنه قال: رأيت جابراً يكتب عند ابن سابط في ألواح، وكان يأتي إليه عدد من التلاميذ ويكتبون عنه.

وعن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: كنت أنطلق أنا ومحمد بن علي أبو جعفر ومحمد بن الحنفية إلى جابر بن عبدالله، فنسأله عن سنن رسول الله ﷺوعن صلاته فنكتب عنه ونتعلم منه(٣٤).

وهذا يرشح أنَّ حديث المناسك الكبير الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه هو مما كتبه أبو جعفر محمد بن علي عن جابر.

وكان سليمان بن قيس اليشكري عنده صحيفة عن جابر ﷺ (٣٥).

وكان عند أبي الزبير صحيفة جابر بن عبدالله رضي الله عنهما(٣٦).

وكان عند الحسن البصري صحيفة جابر أيضاً(٣٧).

٥- صحيفة سمرة بن جندب ﷺ:

والحق أنه كان لسمرة كتب اعتمد عليها الحسن البصري(٣٨).

يقول أبو زرعة العراقي: وأما روايته – أي الحسن – عن سمرة، ففي صحيح البخاري سماعه منه لحديث العقيقة، وقد روى عنه نسخة كبيرة غالبها في السنن الأربع، ويعدّها علي بن المديني سماعاً كلها، وكذلك حكى الترمذي عن البخاري نحو هذا، وقال يحي بن سعيد القطان وجماعة كثيرون: هي كتاب، وذلك لا يقتضي

---

٣٣ – تهذيب التهذيب (٣٤٢/٩) في ترجمة محمد بن عجلان.

٣٤ – الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣١٩/٤) وتقييد العلم (ص١٠٤) والمدخل للبيهقي (٢٤٧/٢)، وبعضهم يزيد على بعض.

٣٥ – العلل ومعرفة الرجال ٣٣٣/١ وتقييد العلم ص:١٠٨ بإسناد صحيح.

وراجع: الجرح والتعديل ١٣٦/٤) وتهذيب التهذيب ٢١٥/٤.

٣٦ – الضعفاء الكبير للعقيلي ١٣٦/٤ وسير أعلام النبلاء ٣٨٢/٥.

٣٧ – الجعديات ٣٧٧/١ رقم ١٣١٩ وسير أعلام النبلاء ١٩٧/٦ وتهذيب التهذيب ٢٠٢/٤ والطبقات الكبرى ١٨/٢/٧ وسند البغوي صحيح.

٣٨ – تحفة التحصيل ص ١٩٨ – ١٩٩

الانقطاع. وفي مسند أحمد بن حنبل: حدثنا هشيم، عن حميد الطويل قال: جاء رجل إلى الحسن البصري فقال: إن عبداً له أبق، وأنه نذر إن قدر عليه أن يقطع يده، فقال الحسن: حَدَّثنا سمرة قال: " قَلَّ ما خَطَبَنا رسول الله ﷺ خطبة إلا أمر فيها بالصدقة ونهى عن المثلة"، وهذا يقتضي سماعه من سمرة لغير حديث العقيقة(٣٩).

٦- أنس بن مالك ﷺ:

قال بعض التابعين: دخلت فرأيت شيخاً، والناس حوله يكتبون عنه، فسألت عنه فقيل لي: أنس بن مالك(٤٠).

وكان عند ثمامة حفيده كتاب الصدقات(٤١).

٧- عبدالله بن أبي أوفي ﷺ (٨٦هـ):

روى سالم بن أبي أمية التيمي عن عبدالله بن أبي أوفى كتابه، وكان سالم كاتباً لعبدالله بن أبي أوفي(٤٢).

٨- عبدالله بن عباس رضي الله عنهما:

كان ابن عباس ﷺ يكتب ويسأل غيره ممن حضر رسول الله ﷺ ويقول: ما صنع النبي ﷺ؟ ومع ابن عباس من يكتب ما يقول(٤٣).

وكان يقرأ كتبه على الناس، ولكنه ابتلي في بصره، فطلب من الناس أن يقرؤوا عليه كتبه(٤٤)، قال موسى بن عقبة: وضع عندنا كريب مولى ابن عباس حمل بعير من كتب ابن عباس(٤٥).

---

٣٩ – تحفة التحصيل ص: ٨٩.

٤٠ – تاريخ بغداد ٢٥٩/٨.

٤١ – صحيح البخاري: ٤٤٩/١(٢٤) كتاب الزكاة (٣٨) باب زكاة الغنم رقم (١٤٥٤).

وقد رواه البخاري عن محمد بن عبدالله بن المثنى الأنصاري قال: حدثه أن أبا بكر ﷺ كتب له هذا الكتاب لما وجَّهه إلى البحرين ...

٤٢ – فتح الباري ٣٤/٦ تهذيب التهذيب ٤٣/٣.

٤٣ – الإصابة: ٣٣٢/٢.

٤٤ – الكفاية ص ٢٦٣ – سير أعلام النبلاء ٢٣٨/٣ – العلل للترمذي ٢٣٨/٢.

٤٥ – طبقات ابن سعد ٢١٦/٥.

٩-عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

كان تلاميذه يكتبون عنه كسعيد بن جبير، وعبدالعزيز بن مروان وعبد الملك بن مروان، ونافع مولاه(٤٦).

١٠ - عائشة رضي الله عنها:

سبق أنها أخبرت عن أحاديث مكتوبة في قائم سيف رسول الله ﷺ، ونقل هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قالت لي عائشة – رضي الله عنها – يا بني، إنه يبلغني أنك تكتب عني الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقلت لها: أسمعه منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع في المعنى خلافًا ؟ قلت: لا. قالت: لا بأس بذلك(٤٧).

والكتابة عن غير هؤلاء الصحب الكرام ﷺ كثيرة، لا يتسع نلها المقام.

كما أنه ينبغي التنبيه أنه قد رويت بعض الروايات التي تبين أنَّ بعض هؤلاء الصحابة كَرِه كتابة الأحاديث، وهي إنْ صَحَّتْ لا تُحْمل على إطلاقها جمعاً بينها وبين ما سبق.

من أهم عوامل حفظ الصحابة للحديث:

١ – بساطة العيش:

إن البساطة في العيش وقلة الاختلاط مع الناس يولد نوعًا من صفاء الذهن وقوة الحفظ والذاكرة بالإضافة إلى أن العرب أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ومعظم علومها تعتمد في الدرجة الأولى على الحفظ، لذا كان من حفظهم ما يضرب به المثل وتناقلته الأجيال عبر التاريخ، مثل أولئك الذين كانوا يحفظون المعلقات الشعرية الطويلة، وكذلك معرفتهم بالأنساب والقبائل والأماكن وغيرها لدليل على تمكن هؤلاء العرب من القدرة على الحفظ دون عوائق.

٢ – أسلوب النبي ﷺ:

كان للنبي ﷺ في الحديث مع الصحابة، أسلوبًا تميز بالهدوء والأناة، وقِصَر جُمَله وإعادته للجملة الواحدة عدة مرات مما كان له الأثر الواضح في تمكين السامعين من حفظه وتدبره، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله

---

٤٦ – انظر دراسات في الحديث النبوي ومصادره ص ١٢٠ – ١٢١.

٤٧ – الكفاية: ص ٢٠٥.

عنها: "كان يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه"(٤٨). وقالت أيضًا: "ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل، يحفظه من جلس إليه"(٤٩).

٣ - إيمان الصحابة والتابعين ومن بعدهم بحقيقة هذا الدين:

كان لعظيم إيمان الصحابة ﷺ بحقيقة هذا الدين، وحقيقة الرسول ﷺ، وحرصهم الشديد على حفظ منابعه ومصادره من الجفاف، واعتقادهم بأن هذا الدين بمصادره الرئيسة هو سبب سعادة البشرية ونصرها في الدنيا والآخرة، فحفظوا السنة النبوية بهذا الدافع الإيماني القوي، ولاسيما وأن الله تعالى قد نبّه المؤمنين على مكانة الرسول ﷺ وسنته في الدين، كقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران: ٣١]. وقوله جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ... الآية﴾ [النساء: ٥٩]. وقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ...الآية﴾ [الحشر:٧]. وغيرها من الآيات التي تحث المؤمنين على طاعة الرسول ﷺ واتباعه والتحاكم إليه، ولا يتم ذلك بعد وفاته إلا بحفظ سنته الصحيحة وتجريدها مما ليس منها من أقوال الناس وآثارهم.

وكذلك قوله ﷺ لصحابته: "نضر الله امرءًا سمع مقالتي فبلغها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"(٥٠).

٤ - أن النبي ﷺ أباح لبعض الصحابة كتابة الحديث:

لقد أباح النبي ﷺ لبعض أصحابه ﷺ كتابة حديثه حتى يكون لهم مرجعًا آخر بعد القرآن في المستقبل، وهذا ما قاله أبو هريرة ﷺ: "ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثًا عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب"(٥١). من أجل ذلك كله وجد المسلمون أنه من الواجب عليهم جمع سنة المصطفى ﷺ بهذا الشكل الذي بين أيدينا وحفظها وحمايتها والدفاع عنها.

---

٤٨ - صحيح البخاري، برقم ٣٥٦٧، ص٥٩٨.

٤٩ - سنن أبي داود، رقم ٣٦٦٠، ص٥٢٥، وجامع الترمذي٦/٢٩ رقم ٣٦٣٩.

٥٠ - سنن أبي داود، رقم ٣٦٦٠ وجامع الترمذي رقم ٢٣٠، وسنن ابن ماجه، برقم ٢٣١.

٥١ - صحيح البخاري، برقم ١١٣.